

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الخلافة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم
(٦٦١هـ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣م - ١٣٢٨م) وموقفه من حكام عصره
د. أحمد حسن عمر

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم معالم مفهوم الخلافة عند شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: شروطها، واجبات الخليفة وواجبات الرعية، وغيرها من المسائل؛ حتى يستبين دور ابن تيمية في الإصلاح السياسي وموقفه من حكام عصره، الذي كانوا يحكمون بقوانين تخالف بعضها القواعد الشرعية، واتبع الباحث المنهج التاريخي، الوصفي التحليلي. أحاط شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١هـ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣م - ١٣٢٨م) بكل العلوم: التاريخ، والتفسير، والحديث، واللغة العربية، والفلسفة وتميز بقوة الذاكرة، وكان له اهتماماً بالأمر السياسي، فقد ألف كتاباً منها: "السياسة الشرعية.. والحسبة...". وكان شجاعاً خاض معارك حاسمة، وكان كريماً، صبوراً، عرف بالعفو عن أعدائه، وكان لا يخش في الحق لومة لائم. ومن أهم نتائج البحث: (١) إن الخليفة هو خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس خليفة عن الله سبحانه، ونصبه أمر واجب على الأمة، ويطاع في الحق، ولا يطاع في معصية، (٢) من شروط من يتولى الخلافة: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والذكورة، والحرية والاستقامة والصلاح، والحكم والصبر، والكرم والشجاعة، والعفة، والرفق بالرعية، والتواضع وعدم العلو على الناس. (٣) من أهم واجبات الخليفة: إقامة الدين بالكتاب والميزان والحديد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والمرابطة في الثغور، وإقامة العدل فيرى ابن تيمية أن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم بالظلم والإسلام، وحسن اختيار الولاة ومحاسبتهم، ومشاورة أهل الحل والعقد. (٤) من أهم واجبات الرعية: الطاعة، وعدم الخروج عليهم؛ لأن الخروج في الغالب يوجب الفساد، والمنكر لا يزال بما هو أنكر منه، بل إصلاح ولي الأمر يتم بنصحه. (٥) عاصر ابن تيمية عدداً من سلاطين المماليك، لكن لما اشتهر علمه، تحرك أعداؤه، فحرضوا السلاطين عليه؛ لأنه كان يناصحهم، وبسبب بعض فتاويه فمات مسجوناً.

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم معالم مفهوم الخلافة عند شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: شروطها، واجبات الخليفة وواجبات الرعية، وغيرها من المسائل؛ حتى يستبين دور ابن تيمية

في الإصلاح السياسي وموقفه من حكام عصره، الذي كانوا يحكمون بقوانين تخالف بعضها القواعد الشرعية واتبع الباحث المنهج التاريخي، الوصفي التحليلي .
تميز شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م - ١٣٢٨م) بالموسوعية، فهو قد أحاط بكل العلوم: فهو المؤرخ، فقد أرخ لكثير من أحداث عصره، وتمكن من العلوم الشرعية من تفسير وعلوم حديث، كما تمكن من اللغة العربية وغيرها، ورد على الفلاسفة وغيرهم، وتميز بسعة الحفظ، وقوة الذاكرة، وكثرة الإطلاع.

(أ) مفهوم الخلافة عند ابن تيمية

(١) الخليفة ليس خليفة عن الله:

عرف ابن تيمية الخليفة بأنه: "من كان خلفا عن غيره"، وهو يرى أن الخليفة هو خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس خليفة عن الله سبحانه، وهو بذلك يتفق مع جمهور الفقهاء، ويرى أن الذين قالوا: أن الخليفة نائب عن الله قد ضلوا. (١)

استدل ابن تيمية على ما ذهب إليه بعدة أدلة منها:

أولا: قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل فالحديث يفيد أن الله سبحانه يكون خليفة لغيره، فهو حي، شهيد، مهيم، قيوم، رقيب، حفيظ، ولا يشفع احد عنده إلا بإذنه. (٢)

ثانيا: عندما قيل لأبي بكر بعد توليه الخلافة، يا خليفة الله! قال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسبي ذلك. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت، أو غيبة بسبب السفر، أو الغزو، ونحوه، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، والله سبحانه حي لا يموت، ولا يغيب، وليس بحاجة إلى الاستخلاف، فالله هو الغني الحميد له ما في السموات والأرض، وما بينهما، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به والحديث "السلطان ظل الله في الأرض"، لا يصح الاستدلال به على أن الخليفة نائب عن الله سبحانه وتعالى، فالظل مفتقر إلى آخر، ، فالسلطان عبد الله، مخلوق مفتقر إليه، فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور الناس، وإذا فسد فسدت بحسب فساده، ولا تفسد من كل وجه، لا بد من مصالح، إذ هو ظل الله، لكن الظل تارة يكون كاملا مانعا من جميع الأذى، وتارة لا يمنع إلا بعض الأذى. (٣)

(٢) حكم نصب الخليفة:

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٨١هـ، ج٣٥، ص٤٣، ٤٤.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٦، ص٤١٢.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج٣٥، ص٤٤، ٤٥، ٤٦.

يرى ابن تيمية أن نصب خليفة أمر واجب على الأمة، واستدل بعدة أدلة منها:
أولاً : قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، فاحكم بين الناس، ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله﴾ (*)

ثانياً : قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" (*) ثم يقول إذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم أوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، فإن الجماعة
تكون مطالبة بتأمير احد عليها من باب أولى. وأن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا
قيام للدين ولا للعالم إلا بها، فمصلحة الناس لا تتم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد
لهم عند الاجتماع من رأس، فالجسد لا يمكن أن يصلح بدون رأس. وقد أوجب الله سبحانه الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أوجب الجهاد، والعدل، وإقامة الحج، والجمع والأعياد، ونصر
المظلوم، وإقامة الحدود، وغيرها من الواجبات التي لا تتم إلا بالقوة والإمارة، لذا كان تنصيب أمير
أمراً واجباً. (٤)

(٣) الشروط الواجب توافرها في الخليفة:

نصب رئيس الدولة من اخطر المناصب وأهمها، وهذا المنصب لا بد لمن يتولاه أن تتوفر فيه
شروط منها: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والذكورة، والحرية، نلاحظ من خلال مطالعاتنا لمصنفات ابن
تيمية انه يشترط شروطاً أخرى هي:

أولاً: النسب القرشي :

ان من شروط الخلافة عند ابن تيمية أن يكون من أصل قرشي لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال
هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان" وفي لفظ آخر "إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهما احد
إلا كبه الله على وجهه" (*) (٢) ما أقاموا الدين يبين هذا الحديث أن الإمارة في قريش ولا ينازعهم أحد
إلا (كبه الله) أي أذله م . (ما أقاموا الدين) أي تجب طاعتهم وعدم منازعتهم طالما أنهم يقيمون
شرع الله عز و جل ويلتزمون حدوده فإن قصرنا في ذلك أو تجاوزوه جازت منازعتهم وسقطت
طاعتهم" (٥)

ثانياً: المبايعة :

(*) سورة ص: آية ٢٦.
(١) ابن خزيمة : صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ج ٤، ص ١٤١٤.
(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٣٩٤، ٣٩١، ٣٩٠.
(٢*) البخاري محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت ، ١٩٨٧م، ج ٣، ص ١٢٨٩.
(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨٦م، ج ١ ص ١٤٠.
أبو زهرة ، محمد : ابن تيمية حياته ، وعصره ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م ص ٣٤٣

يؤكد ابن تيمية رحمه الله أن السنة بينت أن الناس يبايعون الخلفاء، كما بايع الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يعقدون البيعة، كما يعقدون عقد البيع والنكاح ونحوهما. ويرى ابن تيمية أن إيمان البيعة لا أصل لها، وإنما أحدثها الحجاج بن يوسف في تخليفه للمبايعين لعبد الملك بن مروان، بالطلاق، والعناق، واليمين بالله، وصدقة المال، وفيما بعد أحدث الحكام إيماناً أكثر من ذلك، ومن أحدث ذلك فعليه إثم ما ترتب على هذه الإيمان من الشر.^(٦)

ثالثاً: الصفات:

اتفق الفقهاء المسلمون على اشتراط العدالة عند الاختيار، ولكنهم اختلفوا في طاعته إذا طرأ عليه الفسق، أو تأمر عليهم فاسق بالغلبة على قولين: الأول: يرد جميع أمره ولا يطاع لا في المعروف، ولا في معصية، لان ولايته ظلم. والثاني: يطاع في الحق، ولا يطاع في معصية، وابن تيمية يميل إلى هذا الرأي. و نجد ابن تيمية يشترط توافر صفات كثيرة في رئيس الدولة، وهي ممثلة في: الاستقامة والصلاح، والحكم والصبر، والكرم والشجاعة، والعفة، والرفق بالرعية، والتواضع وعدم العلو على الناس.^(٧)

(ب) نظام الخلافة عند ابن تيمية:

قسم ابن تيمية الخلافة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي إلى : خلافة نبوة، وخلافة ملك.

(١) خلافة النبوة:

أولاً : خلافة الراشدين خلافة نبوة :

يقرر ابن تيمية بأن خلافة النبوة تطلق على خلافة الراشدين، لأنهم استوفوا شروط الخلافة من قرشية واختيار بالمشورة الصحيحة، والمبايعة، وقيام بالعدل والحق، وقد استدل ابن تيمية على ما ذهب إليه بعدة أدلة من السنة.^(٨)

ثانياً : مفاضلة ابن تيمية بين الخلفاء الراشدين :

إن ابن تيمية يفاضل بين الخلفاء الراشدين، فهو يفضل آبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، واستدل على هذا الترتيب بما روي أن ابن عمر قال: "كنا نفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنا نقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وكان ذلك يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينكره". ويحمل بشدة على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر، ويورد أدلة كثيرة في تفضيل أبي بكر على علي بن أبي طالب. كما قام بالرد على الذين فضلوا علياً على عثمان، ويقول: أن هذا

(٦) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم: القواعد النورانية الفقهية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٤٥.
(٧) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج ٢٨، ص ١٥٩، ١٥٥، ١٣٧، ١٧٠، ٣٦٤، ٢٩٥، ٢٩٤.
(٨) ابن تيمية : منهاج السنة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٣٨.

التقديم فيه إساءة إلى الصحابة، لأنه لو كان علي أفضل لكان أحق بالتقديم، والصحابة عندما قدموا عثمان، إما أن يكونوا جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضل من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أساء إليهم، ويؤكد تقديم عثمان على علي أن الصحابة اتفقوا على مبايعة عثمان طوعا بلا إكراه، بعد أن جعل عمر الشورى في ستة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وبقي عبد الرحمن يشاور المهاجرين والأنصار ثلاثة أيام، ثم اخبر أنهم لم يعدلوا بعثمان.^(٩)

ثالثاً : بطلان اختصاص علي رضي الله عنه بعلم :

ويؤكد ابن تيمية أن ما يرويه الشيعة بأن عليا اختص بعلم انفرد به عن الصحابة فكله باطل، وقد ثبت عن علي عندما قيل له: "هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء؟ قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسبة إلا فهما يؤتياه الله عبدا في كتابه، وما فيه هذه الصحيفة". وكان فيها عقول الديات، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. ويذكر أدلة الشيعة في تفضيل علي على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، ويقوم بالرد عليها.^(١٠)

رابعاً : طريقة اختيار أبي بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين :

يشير ابن تيمية إلى طريق اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين، ويقول: أن العلماء ذكروا ثلاثة أقوال: الأول: أنها ثابتة بالنص الجلي. والثاني: أنها ثابتة بالنص الخفي. والثالث: أنها ثابتة بالاختيار. ويرجح أن اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين تم باختيار الصحابة، ومبايعتهم له، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها، ويذكر نصوصا كثيرة تدل على ذلك.^(١١)

(٢) خلافة الملك :

أولاً : جواز خلافة الملك :

يؤكد ابن تيمية أن خلافة النبوة إذا فقدت شرطا من شروطها تكون خلافة ملك، وأن خلافة الملك جائزة لكن خلافة النبوة أفضل، ويطلق على معاوية بن أبي سفيان أول الملوك، وأنه والذين تولوا الحكم من بعده من أمويين وعباسيين خلفاء، وإن كانوا ملوكا، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء، ويدل على ذلك انه في شرع من قبلنا الملك جائز، كالغنى يكون للأنبياء وللصالحين تارة أخرى، قال تعالى في

(٩) المصدر السابق، ج٤، ص٣٩٩، ٤٠١، ٤٢٦، ٤٨٠.
(١٠) ابن تيمية، منهاج السنة، المصدر السابق، ج٤، ص٤١٢، ٤١٤-٤٢٠.
(١١) المصدر السابق، ج٣٥، ص٤٧، ٤٩.

داود: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾^(*) وقال صلى الله عليه وسلم: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا "بيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم"^(١*) يرى ابن تيمية فقوله: "فتكثر" دليل على من سوى الراشدين، فإنهم لم يكونوا كثيرا، وقوله: "فوا بيعة الأول فالأول"، يدل على أنهم يختلفون، والراشدون لم يختلفوا، وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية: "إن ملكك فأحسن"^(٢*) ، وقول عمر بن الخطاب لمعاوية: "لا أمرك ولا أنهاك"، وذلك عندما قدم إلى الشام، ورأى أبهة الملك على معاوية، فقال له معاوية، أن المصلحة تقتضي ذلك.^(١٢)

ثانياً : أسباب انتقال خلافة النبوة إلى خلافة الملك :

ويعزو ابن تيمية انتقال الخلافة من خلافة النبوة إلى خلافة الملك، لنقص في كل من الراعي والرعية جميعاً، وقد يكون هذا الانتقال لعجز العباد عن خلافة النبوة، أو عن اجتهاد سائغ، أو مع القدرة على ذلك علماً وعملاً، ونجده يذم خلافة الملك مستدلاً بعدة أدلة منها: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بانتهاء خلافة النبوة يدل على الذم لخلافة الملك. أن الله سبحانه لما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبداً رسولاً، وبين أن يكون نبياً ملكاً، اختار أن يكون عبداً رسولاً. إذا كانت خلافة النبوة واجبة، وهي مقدورة، وقد تركت، فترك الواجب سبب للذم والعقاب.^(١٣)

ثالثاً : رأيه في الخلفاء الأمويين والعباسيين :

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن تيمية يرى أن معاوية أفضل الخلفاء بعد الراشدين، وقام بالرد على الذين كفروه، وذكر أنه لا يجوز لعنه ولا لعن أحد من المسلمين، وإن مقاتلته لعلي بن أبي طالب لا تخرجه من الإسلام . ويرى أيضاً أن يزيد بن معاوية ليس كافراً ولا مرتدًا، ومن قال ذلك فقد افتري عليه، فإنه كان ملكاً من الملوك كسائر المسلمين لهم حسنات، ولهم سيئات، كما يرى أن كل الخلفاء من أمويين وعباسيين، لم يكن منهم أحد يتهم بالزندقة والنفاق، وإن كان قد ينسب الواحد منهم إلى نوع من البدعة، أو نوع من الظلم، ويبقى خلفاء بني العباس أكثر تعاهداً للصلوات أو أوقاتها من

(*) سورة البقرة: آية ٢٥١.

(١*) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢٧٣.

(٢*) الطبراني، أحمد سليمان، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣، ج ١٩، ص ٣٦١.

(١٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ج ٣٥، ص ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٣٣.

(١٣) مصدر سبق ذكره، ج ٣٥، ص ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٧.

بني أمية، وانه في عهد الأمويين والعباسيين الأوائل كانت البدع مقموعة، وكانت الشريعة اعز واطهر، وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم.^(١٤)
رابعاً : رأيه في خلفاء الدولة الفاطمية :

يرى ابن تيمية أن خلفاء الدولة الفاطمية لا ينحدرون من نسل علي بن أبي طالب، وإنما هم من أبناء عبيد القداح، لذا أطلق عليهم العبيدية القداحية، و طعن في دينهم، وذكر أن مذهبهم ظاهرة الرفض (التشييع)، وباطنه الكفر المحض، فهم اسقطوا التكاليف الشرعية ولا يؤمنون بالملائكة، وهم يدعون العصمة التي هي من شأن الأنبياء، مع ما عرف عنهم من النفاق، والكذب، والضلال، والبغي والعدوان لأهل البر والتقوى، والاطمئنان لأهل الكفر والنفاق؟ أنهم من اكفر الناس، وأفسقهم، وهم أعظم كفرا من إتباع مسيلمة الكذاب، وعداوتهم للإسلام أعظم من عداوة النتار.^(١٥)
(ت) واجبات الخليفة:

(١) إقامة الدين وحراسته (الوظيفة الدينية):

يرى ابن تيمية أن هنالك طرق لإقامة الدين وحراسته نذكر منها :
أولاً : الدين لا يقوم إلا بالكتاب والميزان والحديد :

إن قيام الدين يتم عن طريق الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، فهناك نصوص كثيرة توجب الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وتنتهي عن التحاكم إلى غير القرآن الكريم والسنة النبوية. والدين لا يقوم إلا بالكتاب، والميزان، والحديد... فالكتاب يقوم به العلم والدين، والميزان تقوم به الحقوق في العقود المالية، والحديد تقوم به الحدود، يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾^(*)، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والمقصود منها أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله، وحقوق الخليفة، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف.^(١٦)

ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

توجب على ولي الأمر أن يأمر الناس بالصلوات، والصيام، ويعاقب على تركها، وان يأخذ الزكاة من الذين تجب عليهم، ويعاقب على تركها، ويمنع استحلال المحرمات الظاهرة ككناح ذوات المحارم،

(١٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٧، ٤٧٤، ٢١، ٤٨١-٤٨٨.

(١٥) المصدر السابق، ج٣٥، ص ١٢٧، ١٣٢، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠.

(*) الحديد : ٢٥

(١٦) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره ، ج٢٨، ص٢٦٤.

والفساد في الأرض، ونحو ذلك، كما يجب عليه منع الغش والتدليس في الديانات، وإيقاع العقوبة على مرتكبيها مثل: البدع المخالفة للكتاب والسنة، وسب جمهور الصحابة وأئمة المسلمين، ومثل التكذيب بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تلقاها أهل العلم بالقبول، ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل تحريف الكتاب والسنة، والتكذيب بقدر الله.^(١٧)

ثالثاً : إقامة الحدود :

يوضح ابن تيمية أنه إذا اهتم ولي الأمر بإصلاح دين الناس عن طريق المحافظة على العبادات، وإنزال العقوبة على مستحقيها من المخالفين ممن يتركون الواجبات، أو يفعلون المحرمات، فإنه يترتب على ذلك صلاح المجتمع، وتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية. كما يؤكد أن المفسد التي تحصل في المجتمع هي نتيجة لتعطيل الحدود، ويحمل على الذين يعطلون الحدود، ويعدون ممن يستحق لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين، ولا يقبل منهم صرف ولا عدل، ويذكر عدة أدلة على وجوب إقامة الحدود، ويرى أيضاً أن شيوع النفاق والبدع والمعاصي والفجور المخالف لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يؤدي إلى ضعف المسلمين وتسليط عدوهم عليهم^(١٨) .

رابعاً : المرابطة في الثغور : يرى ابن تيمية أن المرابطة في الثغور للدفاع عن الإسلام والمسلمين تعد أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة، فالرباط من جنس الجهاد، لذا يجب على الخليفة أن يهتم بتحسين الثغور خشية أن يدهم العدو ديار المسلمين.^(١٩)

(٢) العدل:

أرسل الله سبحانه الرسل، وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وقد استدلل ابن تيمية على أن الحاكم يتوجب عليه العدل بعدة أدلة من القرآن الكريم والسنة والنبوية، فيجب على ولي الأمر العدل في كل شيء ، والظلم منه محرم في كل شيء، فلا يحل ظلم احد أصلا سواء كان مسلما أم كافرا، كما يرى ابن تيمية أن أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا يقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، فعاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، فالله سبحانه ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدول الظالمة، وإن كانت مؤمنة، وأن العدل نظام كل

(١٧) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج٢٨، ص١٠٦.

(١٨) المصدر السابق، ج٢٨، ص٤١٥، ١٠٧، ج١٣، ص١٧٨، ١٨٠.

(١٩) المصدر السابق : ج٢٨، ص٤١٥، ١٠٧، ج١٣، ص١٧٨، ١٨٠.

شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم،
وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. (٢٠)

(٣) حسن اختيار الولاية:

أولاً: اختيار أصلح ما يجده :

يؤكد ابن تيمية أن إسناد الولاية إلى غير أهلها فيه تضييع للأمانة التي جعلها صلى الله عليه وسلم
من علامات الساعة، فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل ولاية من الولايات العامة في الدولة
أصلح من يجده ، ولا يولي أحداً لأنه طلب الولاية، أو لأنه من قرابته، أو أنه تربطه به صداقة، أو
أنه من أهل بلده، أو مذهبه، ويجب أن لا تمنعه عداوة من يستحق التولية من توليه، ويرى أنه في
حالة عدم وجود الأصلح للولاية، فإنه يتوجب على ولي الأمر في هذه الحالة اختيار الأمثل فالأمثل
في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام، وأخذ للولاية بحقها فقد أدى الأمانة، وقام
بالواجب وصار من أئمة العدل المقسطين عند الله. (٢١)

ثانياً : مراعاة القوة والأمانة :

ويرى أيضاً أن رئيس الدولة عندما يختار أحداً لولاية ما، عليه أن يراعي في المولى: القوة،
والأمانة، فهما عماد أي ولاية، والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة
القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، وإلى القدرة على أنواع القتال من رمي، وطعن،
وضرب، وركوب، وكر، ونحو ذلك، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل، والأمانة
ترجع إلى خشية الله سبحانه، وألا يشتري بآياته ثمناً قليلاً. كما يؤكد أن اجتماع القوة والأمانة في
الناس قليل، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر
أعظم قوة، قدم القوي الشجاع، وإن كان فيه فجور، على الرجل الضعيف العاجز وإن كان
أميناً، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وأمر أسامة بن
زيد، فقد كان يستعمل الرجل لمصلحة راجحة مع أنه كان مع الأمير من هو أفضل منه في العلم
والإيمان، وإذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قدم الأمين، مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما
استخراجها فلا بد فيه من قوة وأمانة، وإذا لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد، فلا بد من
ترجيح الأصلح أو تعدد المولى إذا لم تقع الكفاية بواحد. ويرى أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة
إذا كان أصلح الموجود، إلا أنه يجب السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم

(٢٠) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، المصدر السابق: ج٢٨، ص١٤٦، ٦٣.

(٢١) المصدر السابق، ج٢٨، ص٢٥١.

منه من أمور الولايات والإمارات ونحوها، فالواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفساد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتقويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما هو المشروع.^(٢٢)

(٤) محاسبة الولاية:

توجب على ولي الأمر محاسبة ولاته، وقد استدل ابن تيمية على ذلك بعدة أدلة منها؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على الصدقات، فلما رجع حاسبه، فقال: هذا لكم وهذا اهدي إلي، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله، فيقول: هذا لكم، وهذا اهدي إلي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدي إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا نستعمل رجلا على العمل بما ولانا الله، فيغل منه شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبتة".^(٢٣)

(٥) مشاوره أهل الحل والعقد:

لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فقد أمر الله سبحانه بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لأصحابه، والله سبحانه عندما أمر نبيه بالمشاورة أمره بها لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحى من أمر الحروب، والأمور الجزئية، وغير ذلك، فغيره أخرى وأولى بالمشاورة، وإذا بين له بعضهم ما يجب إتباعه من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو إجماع المسلمين، فعليه إتباع ذلك، ولا طاعة لأحد في خلاف ذلك، وإن كان عظيما في الدين والدنيا، وإن كان أمرا قد تتنازع فيه المسلمون، فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه، فأبي الآراء كان أشبه بكتاب الله، وسنة رسوله، عمل به.^(٢٤)

(ث) واجبات الرعية:

(١) الطاعة:

أولاً : وجوب طاعة ولي الأمر :

إن طاعة ولي الأمر واجبة على كل فرد من أفراد المجتمع، وإن لم يعاهدهم عليها، وإن لم يحلفهم بالإيمان المؤكدة، ولا يجوز لأحد أن يفتي بنقض عهد بيعة ولي الأمر، ومن أفتى بعدم طاعته، فهو مفتر على الله الكذب، مخالف لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من وجوب الطاعة، ويعد

(٢٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج٢٨، ص٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٨٤.

(٢٣) المصدر السابق، ج٢٨، ص٨٢.

(٢٤) المصدر السابق، ج٢٨، ص٣٨٧.

غادرا. وإذا اكره ولي الأمر الناس على ما يجب عليهم من طاعته، وحلفهم على ذلك، لم يجز لأحد أن يأذن لهم في ترك ما أمر الله به ورسوله من ذلك، ويرخص لهم في الحنث في هذه الإيمان. (٢٥)

ثانياً : أدلة وجوب طاعة ولي الأمر :

قد استدل ابن تيمية بأدلة كثيرة على وجوب طاعة ولي الأمر منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (*) قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" (*١). وطاعة ولي الأمر مفيدة في غير معصية الله سبحانه، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "على المرء السم والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". (*٢) وليس للرعية أن يطلبوا من ولاة الأمور ما لا يستحقونه، وليس لهم أن يمنعوا ولي الأمر ما يجب دفعه إليه من الحقوق وإن كان ظالماً، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أدوا الذي لهم، فإن الله سألهم ما استرعاهم" (*٣). (٢٦)

(٢) النصح لولاية الأمور:

يجب على الرعية مناصحة ولي الأمر، لأن النصح يعد من باب التعاون على البر والتقوى ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم نصحهم، وعدم تصديقهم، وإعانتهم على ظلمهم، وطاعتهم في معصية الله، ونحو ذلك، هو من باب التعاون على الإثم والعدوان، وعلى الناصحين من الرعية أن لا يجبنوا ولا يخافوا من نصح ولاة الأمور، وأورد العديد من الأمثلة التي استدل بها على أن النصيحة واجبة على الرعية. (٢٧)

(٣) عدم الخروج على ولي الأمر الجائر:

أولاً : الخروج في الغالب يوجب الفساد :

يتفق ابن تيمية مع جمهور أهل السنة بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر، فعلى الرعية أن تصبر على ظل ولاة الأمور وجورهم، ولا تخرج عليهم ما صلوا، لأن معهم أصل الدين المقصود، وهو توحيد الله سبحانه وعبادته، ومعهم حسنات، وترك سيئات كثيرة. ويرى أن الخروج

(٢٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره : ج٣٥، ص٨، ٩، ١١ .
(*) النساء : ٥٩ .

(١*) البخاري: صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٢٤٦ .

(٢*) المصدر السابق: ج٦، ص ٢٦١٢ .

(٣*) المصدر السابق: ج٣، ص١٢٨٣ .

(٢٦) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره ، ج٢٨، ص٢٦٦ .

(٢٧) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره : ج٣٥، ص٢١١ .

على ولاية الأمور يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا إذا كان في الصبر مفسدة راجحة. (٢٨)

ثانياً : المنكر لا يزال بما هو أنكر منه :

ويرى أيضا أن المنكر لا يزال بما هو أنكر منه، فإن الفتنة كبيرة، وفساد الخروج يربي على فساد ما يكون من ظلمهم، ثم أن من يخرج على الإمام يعد ناقضا للعهد، وهو في هذه الحالة يعد غادراً فابن تيمية يفرق بين البغاة والخوارج، ويرى أن ما ذهب إليه بعض الفقهاء من عدم التفريق بينهم غير صحيح، وقد استدل بمجموعة من الأحاديث التي تدل على عدم جواز خروج الرعية على ولي الأمر. (٢٩)

ثالثاً : وجوب مقاتلة من خرج على ولي الأمر :

وإذا خرجت جماعة على ولي الأمر بتأويل سائغ، فعليه مراسلتهم، فان ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وان ذكروا شبهة بينها، فان لم يعدلوا عن الخروج وجب عليه مقاتلتهم، وهؤلاء الخارجون عن طاعة رئيس الدولة ليسوا كالخوارج الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب، وليسوا من المرتدة والمنافقين كالمزدكية، ونحوهم، فهم مسلمون، وعلى ولي الأمر أن يعاملهم كما عامل علي بن أبي طالب، طلحة والزبير في معركة الجمل، ولا يسبي لهم ذرية، ولا يغنم لهم مال، ولا يجهز لهم على جريح، ولا يقتل لهم أسير، ولا يعمل ما عمله علي بالخوارج، فلا يجوز الجمع بين ما فرق الله سبحانه وبين المرتدين والمارقين، وبين المسلمين والمسيئين. (٣٠)

رابعاً : إصلاح ولي الأمر بنصيحته :

وإذا كان ابن تيمية لا يرى الخروج على ولي الأمر الجائر، فأى طريق يراه مناسباً لحمل الحكام على العدل واجتتاب الظلم؟ انه يرى أن أفضل طريق تجعل ولاية الأمور يقبلون على العدل ويبتعدون عن الظلم، وهي النصيحة لهم، فان الإصلاح يتم بالطرق السلمية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالإرشاد، والموعظة الحسنة، فهذه السبل توصل إلى نتيجة حسنة، إذا وجدت من ولي الأمر أدنا صاغية، وحباً في الإصلاح ولقد تعرض ابن تيمية للأذى من السلطان المملوكي الناصر بن محمد الذي أمر بسجنه أكثر من مرة، وكان ذلك كفيلاً أن يثير فيه السخط على السلطان

(٢٨) المصدر السابق: ج٢٨، ص١٧٩، ١٨٠.

(٢٩) المصدر السابق: ج٣٥، ص١٢، ٢١، ٥٣، ٥٤.

(٣٠) المصدر السابق: ج٤، ص٤٥٠، ٤٥٢.

المملوكي، وان يجعله يؤيد الخروج على ولاية الأمور، لكنه لم يفعل لاعتقاده أن طاعة الحاكم واجبة ما دام قد وحد الشعب، ودافع عن ديار المسلمين.^(٣١)

(٥) العلاقة بين السياسة والشرع :

أولاً : انتقاد ابن تيمية قانون جنكز خان (الياسة) :

منذ بداية العصر المملوكي ، وهي الفترة التي عاش فيها ابن تيمية، كان المماليك وجماعات المغول التي قدمت إلى مصر، والتي أطلق عليها الوافدية يتحاكمون في غير الأحوال الشخصية، والأوقاف، والديون، إلى قانون جنكيز خان المسمى بالياسة (الياساق)، لذلك أحدثوا منصب الحاجب ليقضي فيما اختلفوا فيه، وقد ترتب على استحداث هذا المنصب أن شاع الظلم والفجور، وضعف القضاة. وقد انتقد عدد قليل من العلماء في العصر المملوكي سياسة استحداث منصب الحاجب، والتحاكم إلى الياسة، منهم ابن تيمية، فقد حمل بشدة على الياسة (الياساق)، وأعلن بكل جرأة انه يتوجب على جميع أفراد المجتمع الإسلامي أن يتحاكموا إلى شريعة الإسلام ومن ابتغى غير ذلك شمله قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُكْفُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِنُوا فِىْ أُنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (*) وكل من لا يحتكم إلى شريعة الله فهو ضال، منافق ظالم لنفسه، ويعلن أن الابتعاد عن تحكيم شرع الله يؤدي إلى اضطراب الأمور، وكثرة الفتن، وتسلب الناس بعضهم على بعض.^(٣٢)

ثانياً : تفريق العباسيين بين السياسة والشرع :

يرجع ابن تيمية التفريق بين السياسة والشرع إلى العصر العباسي، إذ كان القضاء بموجب المذهب الحنفي، فعندما كان يثور جدل بين الحنفية وغيرهم من الفقهاء من إتباع المذاهب الأخرى في بعض القضايا، ولا سيما التي يحكم فيها بالقتل كقتل اللوطي ونحوه، وقال الحنفية: هذا يعمله الحاكم سياسة، فيقال لهم: أن قلتم هي مشروعة لنا فهي حق، وهي سياسة مشروعة، وان قلتم: ليست مشروعة لنا فهي مخالفة للسنة. ويرى ابن تيمية أن الذين انتسبوا إلى الشرع قصرُوا في معرفة السنة، مما أدى إلى تضييع بعض الحقوق، وتعطيل بعض الحدود، فسفكت الدماء، وأخذت الأموال، واستبيحت المحرمات، والذين انتسبوا إلى السياسة صاروا يسوسون بنوع من الرأي من غير اعتصام بالكتاب والسنة، وربما حكموا بالهوى، وحابوا القوي، ومن يرشدونهم ونحو ذلك.^(٣٣)

(٣١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره : ج٣٥ ، ص ٢١١ .

(*) النساء : ٦٥ .

(٣٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره، ج١٢، ص ١٨ .

المصدر السابق: ج٣٥، ص ٣٨٦، ٤٠٧ .

(٣٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مصدر سبق ذكره ج ٢٠، ص ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١ .

(ج) موقف ابن تيمية من حكام عصره:

سنذكر أسماء السلاطين، الذين عاصروهم ابن تيمية، حسب ترتيبهم الزمني، واهم أعمالهم، وعلاقة ابن تيمية بكل منهم، ومدى تأثير هذه العلاقة على عطائه.

(١) السلطان بيبرس (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م - ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م)

قام بيبرس بإحياء الخلافة العباسية، باستدعائه أحد أبناء البيت العباسي وتنصيبه خليفة، ووضع نظاما للاتصال، ربط به جميع أنحاء مملكته، بشبكة من خطوط الاتصال البرية والجوية، وكان مركز هذه الشبكة قلعة الجبل بالقاهرة، حيث تصدر المراسيم السلطانية، واليها ترد الرسائل من الأقاليم، في سرعة وانتظام، كما زود بيبرس مراكز الاتصال بكل الاحتياجات، من زاد، وعلف، وخيول، ومياه، وأقام أيضا ما يمكن أن يسمى الاتصال الجوي حيث استعمل الحمام الزاجل الذي كان يستعمل في الحالات المستعجلة عمل بيبرس على إنشاء قوة بحرية، ليستعين بها بعد الله في صد أعدائه، فاهتم ببناء دور السفن، وأقام المنارات والحصون؛ لمراقبة العدو.^(٣٤)

هاجم بيبرس الصليبيين عام "٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م، وأظهر في ذلك همة عالية، وأظهر المسلمون شجاعة فائقة، فكانت الضربة قاسية؛ أدت لانتهيار أهم حصونهم، فانهارت بذلك معنوياتهم، فسارعوا لعقد هدنة مع السلطان بيبرس، على أساس مبدأ المناصفة معه، في غلات بلادهم ثم استولى بيبرس في "سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م" على بعض المدن والحصون ثم هاجمهم عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ثم تم صلح بينه وبين الإمارات الصليبية استمر حتى وفاته^(٣٥)

لم يتعرض العالم الإسلامي لأوقات عصيبة، مثل التي تعرض لها، زمن الغزو المغولي، في القرن "السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي"، لعدم وجود قوي تردعهم، فقد أصاب الضعف الخلافة العباسية فسقطت بغداد حاضرة الخلافة، عام "٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م" ويسقط بغداد فقد المسلمون مركز القيادة الإسلامية، وفقدت مجموعة كبيرة من الكتب والمخطوطات النادرة التي ألفتها المغول وقتل الخليفة وكثير من العلماء. ثم غزا المغول الشام وسيطروا على حلب عام "٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م" وفي نفس العام سقطت دمشق في أيديهم، ويرجع سر انتصارات المغول إلى تفوقهم في الأسلحة

(٣٤) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٥١٢،
القلقشندى أبو العباس، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م،
ج ١٤، ص ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٤.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد: التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٨٩٤ م، ص ٢٠١.
(٣٥) المقرئزي: السلوك، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٥٤، ٥٦٩.

،وسرعة إطباقهم على العدو، وسرعة الرماية وإحكامها، ولهم طاعة تامة لقائدهم، ويندر أن يهرب جندي منهم من ساحة القتال، بل حاربت النساء منهم في صفوف الرجال. (٣٦)

كتب زعيم التتر إلى السلطان قطز سلطان مصر يتوعده، فقرر السلطان قطز الاستعداد للحرب، واعد الرسل الذين أرسلهم، وخرج من القاهرة في رمضان ٦٥٨ هـ، أغسطس ١٢٦٠ م وأرسل بيبرس. الذي أصب سلطاناً من بعده. لاستكشاف حال المغول، فاستطاع أن يلحق بطلائع المغول الهزيمة لكنها لم تكن حاسمة، فتقدم قطز عن طريق الساحل، حتى وصل عين جالوت حيث دارت المعركة وانقض المغول على جيش المماليك، فألقى السلطان قطز خوذته عن رأسه إلى الأرض، وصاح بأعلى صوته "وإسلاماه" ثم قاد المعركة بنفسه، فانتصر المماليك على المغول في موقعة عين جالوت، فكانت هذه المرة الأولى التي يهزم فيه التتر فانتهت مقولة "التتر لا يهزمون"، وساعد ذلك أيضاً على تدعيم حكم المماليك، حيث أصبح المسلمون، ينظرون إليهم نظرة تقدير، ثم أن هذه المعركة أنقذت الشام ومصر من غزو المغول، (٣٧)

توفي بيبرس في الثامن عشر من محرم، سنة ست وسبعين وستمائة، وعمره نحو سبع وخمسين سنة، وكانت مملكته سبع عشرة سنة وشهرين، وخلف ثلاث بنين وسبع بنات (٣٨)

ولد شيخ الإسلام ابن تيمية، في الفترة التي حكم فيها بيبرس، وعاش ما يقرب خمسة عشر سنة تحت حكمه وهاجرت عائلته إلى دمشق، بعد هجوم التتر على قريتهم، وهناك وجد والده البيهة الآمنة، التي نشر فيها العلم، فترى شيخ الإسلام تربية علمية، فكانت فترة حكم بيبرس فترة التلقي العلمي، وتكوين الشخصية، ولاشك أن مكانة بيبرس في تلك الفترة كانت مرموقة؛ لشجاعته في محاربة التتار، الذين أذاقوا العالم الإسلامي أشد الهوان، وقد عاين ظلمهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو صغير السن، ولاشك أن شيخ الإسلام وأسرته كانوا على علاقة ولاء لبيبرس، الذي قاد المسلمين، فانتهروا على التتار لأول مرة، فانكسرت بذلك هيبتهم.

(٢) الملك السعيد محمد بركة خان : (٦٧٦هـ/١٢٧٨م - ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م)

(٣٦) العبادي، احمد المختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩، ص١٤٦.

(٣٧) الذهبي: تاريخ دول الإسلام، الهند، حيدرآباد، ١٢٩٦هـ، ج٤٨، ص٦٠، ٦١.

ابن شاکر الکتبی: عیون التواریخ، دار الرشید، بغداد، ١٩٨٠م، ج ٢١، ص ٢٢١، ٢٢٣.

الیافعی، أبو محمد عبد الله، مرآة الجنان وعبير اليقظان في حوادث الزمان، الهند، حيدرآباد، ١٣٣٨هـ، ج٤، ص١٤٩.

(٣٨) ابن دقماق: النفحة المسكية في الدولة التركية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ص٦٧.

جاء إلى الحكم بعد وفاة والده الملك بيبيرس سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٨م) ، زداد النفور بينه وبين الأمراء؛ فاجتمعوا مع أجنادهم وأتباعهم ، فطلبوا منه أن يخلع نفسه عن الملك ، فوافق كانت فترة حكمه سنتين وشهر واحد وأيام^(٣٩).

كانت علاقة ابن تيمية بهذا السلطان ، امتدادا للعلاقة مع والده، فقد كان ابن تيمية في فترة تكوينه العلمي والتلقي ، نكبا على الدراسة ، ولم يصل مرحلة العطاء العلمي، الذي جلب له حسد الأقران، وعداوة الصوفية، والفرق المنحرفة، الذين ألبوا عليه السلطة .

(٣) الملك العادل سلامش (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م . / رجب ٦٧٨ هـ / ١٢٨٠ م).

بعد عزل الملك خليل ، عرض كبار الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون ولكنه امتنع عن قبول السلطنة لسباب نذكر منها أن أغلب الجيش كان من أتباع الظاهر بيبيرس فخشي القيام بالثورة ضده، كما أن أغلب البلاد كان يتولى إدارتها أمراء موالون لأسرة بيبيرس، ولذلك عول على عدم قبول السلطنة إلا بعد القضاء على هؤلاء ، فاتفق الأمراء على تولية سلامش ، ولقبوه بالملك العادل، سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ وعمره سبع سنين وشهور وعينوا الأمير سيف الدين قلاوون مساعدا له وضربت السكة باسمهما كما خطب لهما على المنابر ثم خلعه المنصور قلاوون بعد أن حكم خمسة شهور وأيام^(٤٠).

مجمل القول إن فترة حكم بيبيرس وأولاده كانت فترة تلقي العلم عند ابن تيمية ولم يصل إلى مرحلة العطاء والصدام.

(٤) الملك المنصور قلاوون : (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م . ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م)

كان قلاوون على قدر كبير من الذكاء، ولما تولى بدر الدين سلامش بن السلطان الظاهر بيبيرس السلطة كان قلاوون السلطان الفعلي للبلاد حيث مكن لنفسه في مختلف أنحاء الدولة، ثم دعا الأمراء وتحدث معهم عن صغر سن السلطان، والحاجة إلى رجل كامل ، فاستقر الرأي على خلع سلامش وتولية الأمير سيف الدين قلاوون^(٤١).

(٣٩) أحمد بن علي بن المغربي: منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان: تحقيق عبده خليفة دار عشتار ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ج٢ ، ص ٣٦٢ .

النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٢٣م، ج٢٨ ، ص ١٦٠ .

ابن تغري بردي، يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م ، ج٧، ص ٢٦٤ .

(٤٠) ابن صرصري : محمد بن محمد ، الدررة المضوية في الدولة الظاهرية، كلفورنيا، ١٩٦٣م، ص ١٨١ .

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات، بيروت ، ج٧ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤١) المقريزي: السلوك ، ج١ ، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥٨ .

بعد أن تخلص السلطان قلاوون من الأخطار الداخلية، بدأ يتصرف نحو الصليبيين، الذين ما فتئوا يهددون بلاد الشام، وكذلك المغول الذين غزوا الشام عام ٦٧٩هـ/١٢٨١م، فتنبه قلاوون لخطر الذي يهدده، نتيجة للتحالف الثلاثي بين المغول والصليبيين وسنقر، ولذلك اتبع سياسة جديدة تستهدف التفرقة بين خصومه، ليتمكن من منازلة كل واحد منهم على حدة. (٤٢)

انتصر قلاوون على المغول سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢م، ثم عقد صلحا في سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٦م لمدة عشر سنوات مع القوى الصليبية الرئيسية في بلاد الشام ولكنه في نفس العام هاجم الصليبيين عندما أحس بأنهم يريدون الغدر به فاستولى على عناصم حصونهم مستغلاً خلافاتهم الداخلية ثم استولى في نفس العام على اللاذقية(*) وهي آخر بلاد تبقى للصليبيين في أمارة إنطاكية(١*) (٤٣)

ثم استطاع قلاوون أن يفرض سيطرته على طرابلس(٢*) عام ٦٨٨هـ/ ١٢٩٠م بسبب النزاع الداخلي حول وراثة الحكم كانت وفاة المنصور قلاوون ٦٨٩م و حكم إحدى عشر سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. (٤٤)

بدأ ابن تيمية في عصر هذا السلطان العطاء العلمي، ففي عام ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م أقام شيخ الإسلام ابن تيمية، أول درس له بدار الحديث السكرية، وحضر عنده قاضي القضاة، وبعض العلماء، وقد أظن الحاضرون في شكره وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين. ثم جلس شيخ الإسلام بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة لتفسير القرآن الكريم فابتدأ من أوله في تفسيره واستمر على ذلك مدة سنين طويلة. (٤٥)

(٤٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ١٩٨ .
بيبرس المنصوري : التحفة المملوكية في الدولة التركية، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م، ص ٩٩ ، ١٠٢ .
(*) الانذقية مدينة في بحر ساحل الشام ،تعد من اعمال حمص .
الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م. ج ٧، ص ٣١٢ .
(١*) إنطاكية مدينة تعتبر قسبة العواصم من الثغور الشامية .
ياقوت : معجم البلدان، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٣ .
(٤٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، وأنبياء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج ٥، ص ٨٨ .
ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والعصور ، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧ ، ٨٦ .
اليونيني قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان ، الهند ، حيدر اباد الدكن، ١٩٦٠م، ذكره، ج ٤، ص ٢٩٣ .
(٢*) طرابلس :مدينة من على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، عليها سور صخري جليل البنيان .
ياقوت : معجم البلدان ،مصدر سبق ذكره، ج ٦، ص ٣٤ .
(٤٤) ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى تحقيق أ.د عمر عبد السلام : النفحة المسكية في الدولة التركية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م، ص ٨٤، ٨٥ .
(٤٥) ابن كثير : البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره، ١٣، ص ٣٠٣ .

كان لابن تيمية موقف عدائي واضح من الصليبيين والمغول، وانسجم ذلك مع موقف السلطان قلاوون، الذي حارب المغول والصليبيين بلا هوادة، فانعكس ذلك علاقة طيبة بينه وبين السلطة فلم تسجل لنا المصادر أي نفور بينه وبين النظام الحاكم بل انشغل بتبليغ العلم للعباد .

(٥) **السلطان الأشرف خليل:** (٦٨٩هـ/١٢٨٩م - ٦٩٣هـ/١٢٩٤م)

عهد السلطان قلاوون لابنه الأشرف خليل لما اشتدت تهديد المغول لبلاد الشام حتى يتفرغ لمحاربتهم، وعقب وفاة قلاوون سنة (٦٨٩هـ/١٢٨٩م) أعقبه في الحكم (٤٦)

حاصر السلطان الأشرف عكا^(*) فسقطت سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م ، وكان من نتائج سقوطها أنه لم يصبح للصليبيين مقام في تلك البلاد، فاستولى المسلمون بسهولة على المراكز الباقية بسهولة. (٤٧)

إن نجاح السلطان الأشرف خليل في طرد بقايا الصليبيين لم يشفع له عند كبار الأمراء الذين ضاقوا به ذمماً، فوصفوه بالتعالي عليهم، فتحرك كبار الأمراء، وعند خروج الأشرف خليل للصيد هجموا عليه وقتلوه وكان ذلك في سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م). (٤٨)

طرد الأشرف خليل بقايا الصليبيين وبقيت منهم بقية تبت سمومها وتدس حقداً وبسبب ذلك حدثت واقعة عساف النصراني عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م الذي شهد عليه جماعة بأنه سب الرسول صلى الله عليه وسلم فاجتمع ابن تيمية وشيخ دار الحديث وخرجا ومعهما خلق كثير من الناس فرأى الناس عسافاً فرجموه بالحجارة فأرسل نائب دمشق إلى الشيخين فضربها بين يديه وقدم النصراني وأسلم وعقد مجلس بسببه وأثبت بينه وبين الشهود عداوة فحقن دمه ثم استدعى الشيخين فارضاهما . وهذا يدل على أن ابن تيمية أصبح يمارس الأمر بالمعروف بقوة وينهى عن المنكر (٤٩)

(٦) **الناصر محمد بن قلاوون** (٦٩٣هـ/١٢٩٣م - ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) " فترته الأولى":

بعد مقتل الأشرف خليل اجتمع المتآمرون انتهت المفاوضات باختيار السلطان الناصر محمد بن

(٤٦) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، دار الكتاب العربي، برلين، ١٩٩٨م، ج٩، ص١٠٥ .
النويري: نهاية الأرب، مصدر سبق ذكره، ج٢٩، ص٢٧٧.
الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج١٦، ص٤٢٩
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٧، ص٣٨٣

(*) مدينة كبيرة، من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان.
محمد بن عبد المنعم الجميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٤١٠ .
(٤٧) ابن الجزري، حمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٤٥، ص٢٠٩ .
(٤٨) ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد: بدائع الزهور، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص٣٧٧
(٤٩) ابن كثير: البدايات والنهاية، مصدر سبق ذكره، ج١٣، ص٣٩٦ .

قلاوون ، وكان عمره لما تولى السلطة سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤م تسع سنوات ، و استقر الرأي على تعيين الأمير زين الدين كتبغا نائباً للسلطنة وقضى الناصر محمد سنة في الحكم كان شبه محجور عليه بالقلعة، في حين استبد بامور الدولة الأمير علم الأمير كتبغا المنصوري الذي جمع الأمراء وعزل السلطان الناصر محمد بحجة صغر السن عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م. (٥٠)

في عصر هذا السلطان أذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٧) **السلطان العادل كتبغا:** (٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م. ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧)

تولى السلطة بعد الناصر محمد سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٥م) ، لما استقر السلطان كتبغا في السلطة اسكن الناصر مع أمه، في بعض قاعات القلعة، وحجب عنه الناس، وولى حسام الدين نيابة السلطنة ، ثم أخذ يقرب إليه الأمراء حتى قويت شوكته (٥١)

جاء عصر العادل كتبغا مصحوباً بانخفاض النيل، واشتداد المجاعة ،وارتفاع الأسعار، وانتشار الوباء، مما أدى إلى كراهية الناس له، وزاد من هذه الكراهية ،تقريبه لجماعة من بنى جنسه من المغول ،زعم أنهم كانوا وثنيين فاستغل ذلك الأمير حسام الدين لاجين ،ودبر مؤامرة مع الأمراء لقتل كتبغا، أثناء عودته من الشام إلى مصر ،غير أن كتبغا تمكن من الفرار، وعاد إلى دمشق ،فاعلن حسام الدين لاجين نفسه سلطاناً ،وبايعه الأمراء. في عصر هذا السلطان درس الشيخ درس ابن تيمية بالمدرسة الحنبلية عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦م (٥٢)

(٨) **السلطان المنصور لاجين:** (٦٩٦ هـ / ١٢٩٧ . ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م) تولى السلطة سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٧ م ، وكانت دولته ثلاث سنين وستة أشهر، وكان موصوفاً بالشجاعة ، لكنه استبد بالرأي وأضعف نفوذ الأمراء والوزراء؛ فقرروا التخلص منه، فقتلوه عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م (٥٣)

وقعت في أواخر عصر هذا السلطان، محنة للشيخ ابن تيمية، فقد قام عليه جماعة من الفقهاء، وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي، فلم يحضر؛ فنودي في البلد في العقيدة التي قد كان أن سألها أهل حماة، فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان ، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده ،اختفي كثير

(٥٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مصدر سبق ذكره، ج٨ ، ص ١٦٨ (١٦٦ .
العيني، بدر الدين أبو محمد محمود ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ج٣ ، ص ٢٦٧ .

ابن شاکر الکتبي : عیون التواریخ ، مصدر سبق ذكره، ج٢٣ ، ص ١٥١ ،
(٥١) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، مصدر سبق ذكره، ج١ ، ص ١٨٠ (١٨٥ .
ابن الحريري : منتخب الزمان ، مصدر سبق ذكره، ج٢ ، ص ٣٧١ .

(٥٢) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، مصدر سبق ذكره، ج٢ ، ص ٢٤١ .

(٥٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مصدر سبق ذكره، ج٨ ، ص ٣٣٩ ، ٢٣٠ .
بدر الدين العيني : عقد الجمان ، مصدر سبق ذكره، ج٣ ، ص ٤٢١ (٤٣٦ .

منهم، وضرب جماعة، وسكت الباقون ، ثم اجتمع عنه جمع من الفضلاء، وناقشوه في الحموية، فأجاب عنها بما أسكتهم، ثم سكنت الأحوال بعد ذلك. (٥٤)

(٩) السلطنة الثانية للملك الناصر : (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م . ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)

اجتمع الأمراء واختلفوا في بداية الأمر بصدد عودة السلطان الناصر للحكم ثم اتفق رأيهم على إحضار السلطان الملك الناصر محمد من الكرك، فأرسلوا إليه، فلما حضر إلى مصر جددت له البيعة و من ثم بدأت سلطنته الثانية، وهو ابن أربع وعشرين سنة (٥٥)

من أول المشاكل التي قابلت السلطان المنصور ، حركة التتر ، فكانت موقعة الخازندار سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م ، هزم التتر جيش المسلمين ثم دخلوا دمشق، ثم كانت موقعة شقحب ، سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م، التي هزم فيها المسلمون التتر ، وشارك فيها ابن تيمية (٥٦)

إن عودة الناصر إلى السلطة، لم تضعف نفوذ الأمراء، وأضحى السلطان الناصر يشعر بكثير من الضيق ، ولما عيل صبر السلطان الناصر محمد فتظاهر بطلب الحج ، حتي لا يمنع من الخروج من مصر فأجيب ، فخرج من مصر في رمضان ، ولما وصل الكرك أرسل يقول للأمراء : "قد قنعت بالكرك ، فاطلبوا لكم ملكاً غيري". (٥٧)

كان لابن تيمية في هذه الفترة مواقف قوية وجريئة، ففي عام ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م هب الى قازان قائد التتار ليحول دون دخوله دمشق ، وتخليص الأسرى المسلمين من أيدي أتباعه، فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله، والسلطان مقبل عليه، مصغ لما يقول، فواقع الله في قلب السلطان المحبة والهيبة له، معززا ؛ كان ذلك سببا في تخليص غالب أسرى المسلمين. وأخبر من حضر مجلس غازان أنهم لما حضروا مجلس قازان قدم لهم طعام فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل لما تأكل فقال كيف آكل من طعامك وكله مما نهبت من أغنام الناس طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ثم أن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك أن تؤيده وتتصره وإن كان للملك والدنيا والتكاثر أن تفعل به وتصنع فكان يدعو عليه وقازان يؤمن على دعائه ونحن نجتمع ثيابنا خوفا أن يقتل ثم لما خرجنا قلت له كدت تهلكنا معك ونحن ما

(٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سبق ذكره ، ج ١٤ ، ص ٥ .

(٥٥) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، مصدر سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٣٠ .

أبو بكر : أحمد بن قاضي : تاريخ ابن قاضي شهبة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ١٩٧٧ ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٥٦) اليافعي : مرآة الجنان ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ (٢٣٦) .

الذهبي: ودول الإسلام ، ج ٢ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٥ .

(٥٧) اليافعي : مرآة الجنان ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

نصحبك من هنا فقال وأنا لا أصحبكم فانطلقنا عسبة وتأخر ، فما وصل إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا^(٥٨)

لما جاوز قازان المغولي بجيشه الفرات عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وقصد حلب وأخذ الناس يتركون البلاد قام شيخ الإسلام يحث الناس على الجهاد واجتمع بالأمراء ثم سافر إلى القاهرة لمقابلة السلطان الناصر محمد يسأله الدفاع عن الشام فقال له : " إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمائته أقمنا له سلطانا يجوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام.^(٥٩)

في عام ٧٠٢ هـ/١٣٠٢م كانت معركة شقحب بين المسلمين والنتتر، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، الأثر الكبير في حسن الإعداد لهذه المعركة، حيث أسهم إسهما كبيرا في إعداد المتطوعين ، وحض الأمراء والحكام المسلمين على الجهاد وكان له دور كبير في تحريض السلطان الناصر محمد على الجهاد وبشره بالنصر وجعل يحلف بالله أن النصر في هذه المرة حليف عسكر السلطان فيقول الأمراء له قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا، وأفتى الناس بالفطر وأفطر هو أيضا، وكان يدور على الأجناد فيأكل من شئ في يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقوا على القتال أفضل فيأكل الناس ولم يقف عند التحريض فقط، وإنما أسهم بسيفه وماله ونفسه قال احد أمراء الشام: (قال لي الشيخ يوم اللقاء أوقفني موقف الموت فسقته إلى مقابلة العدو وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم ثم قلت له سيدي هذا موقف الموت فرفع طرفه إلى السماء وبخيل إلي أنه دعا عليهم ثم انبعث وأقدم على القتال^(٦٠))

في آخر فترة حكمه هذه لم تكن الأمور بيدي السلطان المنصور محمد، بل كانت تحت سيطرة الأمراء، خاصة بيبرس الجانكشير الذي غلب عليه التصوف فتسبب في سجن ابن تيمية سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م في القاهرة لمدة عام وستة شهور واستمرحبسه حتى عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م وكان بسبب الخلاف على مسائل عقديّة كمسألة استواء الله على العرش وغيرها من المسائل .

(١٠) المظفر بن الجاشنكير (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

تولى المملكة، وذلك حين وصل إليهم كتاب السلطان الملك الناصر، وفيه رغبته عن الملك، فتشاور الأمراء فيما بينهم، فاستقر الحال أن يكون الجاشنكير السلطان ولكن أغضب ذلك أمراء من الديار

(٥٨) الزوار: الأعلام العلية، مصدر سبق ذكره، ٧٠ - ٧٢ .

(٥٩) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره ج١٤، ص ١٥ .

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سبق ذكره، ٥، ص ٤٥٥ .

(٦٠) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره ج١٤، ص ٢٥ - ٢٦ .

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص ٦ .

المصرية بعض المماليك السلطانية فتوجهوا إلى الكرك لخدمة السلطان الناصر^(٦١)
خرج السلطان الناصر إلى دمشق فهرب نائب دمشق وخرج أمراء دمشق يستقبلونه، ثم ناصره نواب
السلطة واتجه نحو مصر فدخلها بغير مانع ولا مدافع^(٦٢)
إن علاقة ابن تيمية به كانت عدائية بسبب تصوفه وقد تسبب في سجنه في عهد المنصور محمد ثم
استمرت العلاقة بينها أشد عداوة فسجن شيخ الإسلام لمدة أيام قليلة في عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م نفس
العام بسبب استعداء السلطة عليه من المتصوفة بالقاهرة لمنعه التوسل بالمخلوقين وكلامه في ابن
عربي وعقد له مجلس واختلف في أدانته وخير بين أمور ثلاثة: العودة إلى دمشق أو البقاء
بالإسكندرية بشروط أو الحبس فاختر الحبس فألح عليه جماعة من رفاقه ليسيروا معهم لدمشق فوافق
ولكن ردوه من قبل أن يصل إلى دمشق وبسببها ألف كتابه الرد على البكري ثم سجن لمدة تزيد عن
شهرين ثم أرسل إلى سجن الإسكندرية عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م دون مرافق معه وأخبره البعض أنهم
يريدون أن يقتلوه فقال لهم "أنا إن قتلت كانت لي شهادة إن نفوني كانت لي هجرة إن حبسوني كان
لي معبدا فيئسوا منه وانصرفوا وما هي الا شهور حتى تولى الملك الناصر محمد السلطة فأخرجه
من السجن .

(١١) السلطنة الثالثة للسلطان محمد قلاوون (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م. ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)

أولاً: مدة حكمه ، وأهم أعماله :

استمرت هذه الفترة من "خروج السلطان الناصر من الكرك إلى القاهرة ، يرافقه أتباعه حتى دخل قلعة
الجبيل أول أيام عيد الفطر سنة ٧٠٩ هـ / ١٣١٠"، وكان في الخامسة والعشرين من عمره فقبض
على بييرس الجاشنكير وأعدمه، ورمى بسار في السجن حتى مات، وكانت سياسته هذه المرة من
تأمر عليه تخلص منه في الحال^(٦٣)

استمر حكم الناصر هذه المرة إحدى وثلاثين سنة، وامتد نفوذه من المغرب غرباً حتى الشام والحجاز
شرقاً ، ومن النوبة جنوباً حتى آسيا الصغرى شمالاً ، وقد أرسل حملة إلى النوبة سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥م

(٦١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .
ابن القيسراني ، إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالله : النور اللائح والدر الصادح ، ... ، دار الإنشاء ، طرابلس ، ليبيا ،
١٩٨٢م ، ص ٦٣ .
(٦٢) ابن حبيب الحلبي بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر ، تاريخ ابن سباط ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .
(٦٣) ابن أبيك : الدر الفاخر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٧ ، ٢٠٤ .
ابن القيسراني : النور اللائح ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ .
اليافعي : مرآة الجنان ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

في سلطنته السلطانية ثم أرسل حملتين سنة "٧١٥هـ/١٣١٦م" و"٧١٦هـ/١٣١٧" وتمكنت هذه الحملات من إقامة أول ملك مسلم من أهل النوبة هو عبدالله برشنيو وأخذت منطقة النوبة تفقد صفتها المسيحية تدريجياً، لتتخذ طابعاً عربياً إسلامياً. كان عهد الناصر عهد رخاء واستقرار فأقام كثيراً من المنشآت^(٦٤)

ثانياً : علاقة ابن تيمية بالسلطان في هذه الفترة :

بدأت العلاقة بين ابن تيمية والناصر محمد بداية طيبة حيث أفرج عن الشيخ واستدعاه للقاهرة وقتل الجاشنكير شر قتلة وأراد الناصر أن ينتقم من القضاة والفقهاء الذين كانوا يوالون الجاشنكير فاستفتى الشيخ فيهم ففهم الشيخ مقصوده فشرع في مدحهم والثناء عليهم وأنهم لو ماتوا لم يجد مثلهم في دولته وكان القاضي ابن مخلوف المالكي يقول بعد ذلك "ما رأينا أنقى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعي فيه ولما قدر علينا عفا عنا، وسكن ابن تيمية بالقرب من مشهد الحسين والخلق على اختلاف طبقاتهم يترددون عليه وحصل له من الإجلال والتقدير ما يطول وصفه واستمر إلى أن قدم دمشق صحبة السلطات لملاقات التتر عام ٧١٢هـ/١٣١٢م أي بعد غيبة عن دمشق دامت نحو سبع سنين سجن خلالها اربع مرات استغرقت نحو سنتين ونصف وحصل خلال اقامته في مصر خير كثير ونشر للعلم عظيم وفيها كانت جملة من مؤلفاته^(٦٥).

استمرت العلاقة بين ابن تيمية والناصر محمد على أحسن حال حتى عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م فانقلب عليه وسجنه بدمشق لمدة خمسة أشهر وثمانية وعشرين يوماً من الشهر السابع عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م حتى الشهر الأول من عام ٧٢١هـ/١٣٢١م بسبب مسألة الحلف بالطلاق. سجن ابن تيمية للمرة الأخيرة سجنته التي مات فيها بدمشق ابتداء من الشهر الثامن من عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م الى ليلة وفاته في الشهر الحادي عشر من عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م لمدة عام واحد ولحدى عشر شهرا بسبب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت تمارس فيها البدع التي تخالف الشرع من التمسح بالقبر فهو لا يحرم الزيارة الشرعية لقبر النبي صلى الله عليه وسلم^(٦٦).

خاتمة

الحمد لله الذي وفقني لاكمال هذا البحث الذي يهدف إلى تسليط الضوء على أهم معالم مفهوم الخلافة عند شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: شروطها، وواجبات الخليفة وواجبات الرعية، وغيرها من

(٦٤) المقرئزي: السلوك، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٦١ (١٦٢)، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره، ج ٩، ص ١٧٨ وما بعدها.
(٦٥) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره: ج ١٤، ص ٥٠.
(٦٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سبق ذكره، ج ٦، ص ٧١.

المسائل؛ حتى يستبين دور ابن تيمية في الإصلاح السياسي وموقفه من حكام عصره، الذي كانوا يحكمون بقوانين تخالف بعضها القواعد الشرعية، واتباع الباحث المنهج التاريخي، الوصفي. التحليلي . ومن أهم نتائج البحث:

(١) إن الخليفة هو خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس خليفة عن الله سبحانه، ونصبه أمر واجب على الأمة، ويطاع في الحق، ولا يطاع في معصية
(٢) من شروط من يتولى الخلافة : الإسلام، والعقل، والبلوغ، والذكورة، والحرية و الاستقامة والصلاح، والحكم والصبر، والكرم والشجاعة، والعفة، والرفق بالرعية، والتواضع وعدم العلو على الناس.

(٣) من أهم واجبات الخليفة: إقامة الدين بالكتاب والميزان والحديد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والمرابطة في الثغور، وإقامة العدل فيرى ابن تيمية أن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم بالظلم والإسلام، وحسن اختيار الولاة ومحاسبتهم، ومشاورة هل الحل والعقد.

(٤) من أهم واجبات الرعية: الطاعة، وعدم الخروج عليهم؛ لأن الخروج في الغالب يوجب الفساد، والمنكر لا يزال بما هو أنكر منه، بل إصلاح ولى الأمر يتم بنصحه.

(٥) عاصر ابن تيمية عددا من سلاطين المماليك، لكن لما اشتهر علمه، تحرك أعداؤه، فحرضوا السلاطين عليه؛ لأنه كان يناصحهم، ويسبب بعض فتاويه فمات مسجوناً.

وأوصى بأن يهتم الباحثين بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والتي تتميز بالعمق والتحليل، خاصة كتبه التي تتناول السياسة الشرعية.

المصادر والمراجع

١. ابن الجزري، حمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م

٢. **ابن الحريري : منتخب الزمان**

٣. ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات، بيروت

٤. ابن الفوطي : : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م

٥. ابن القيسراني، إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالله : النور اللائح والدرالصادح....، دار الإنشاء، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٢م

٦. **ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي**

٧. ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد: بدائع الزهور، مطبعة عيسي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥م
٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م
٩. ابن تغري بردي، يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،الهيئة المصرية للكتب، القاهرة، ١٩٨٨م
١٠. ابن تيمية:أحمد بن عبد الحلیم ،مجموع الفتاوى، مطابع الرياض ،الرياض ،١٣٨١هـ .
١١. ابن تيمية:أحمد بن عبد الحلیم:القواعد النورانية الفقهية،مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٣ .
١٢. ابن تيمية:مجموع الفتاوى،مصدر سبق ذكره،ج٣٥، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .
١٣. ابن تيمية،أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية ،مكتبة الرياض الحديثة ،١٩٨٦م.
١٤. ابن حبان:صحيح ابن حبان،تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٩٣م .
١٥. ابن حبيب الحلبي بدرالدين أبو محمد الحسن بن عمر:تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ، ١٩٨٦م
١٦. ابن خزيمة : صحيح ابن خزيمة،تحقيق محمد الأعظمي،المكتب الإسلامي،بيروت .
١٧. ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد،وفيات الأعيان ،وأنباء أبناء الزمان،دار صادر،بيروت، ١٩٠٠م،
١٨. ابن دقماق : النفحة المسكية في الدولة التركية ،المكتبة العصرية،بيروت، ١٤٢٠ هـ.
١٩. ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيذر العلاني تحقيق أ.د. عمر عبد السلام : النفحة المسكية في الدولة التركية ،بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٩ .
٢٠. ابن سباط ،حمزة بن أحمد بن عمر، تاريخ ابن سباط ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٣م
٢١. ابن شاکر الكتبي :عيون التواريخ ،دار الرشيد،بغداد، ١٩٨٠م.
٢٢. ابن صرصري : محمد بن محمد ،الدرة المضية في الدولة الظاهرية ، ا
٢٣. كلفورنيا، ١٩٦٣م
٢٤. ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، ١٨٩٤م
٢٥. أبو بكر : أحمد بن قاضي : تاريخ ابن قاضي شهبة،المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية،دمشق ،
٢٦. أبو زهرة ، محمد : ابن تيمية حياته ، وعصره ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م

٢٧. أحمد بن على بن المغربي: منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان: تحقيق عبده خليفة دار عشتار ، بيروت ، ١٩٩٣ .
٢٨. البخاري محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري، دار ابن كثير ،بيروت ، ١٩٨٧م
٢٩. **البنار :الأعلام العلية ،**
٣٠. بيبيرس الدوادار:زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، دار الكتاب العربي ،برلين ،١٩٩٨م
٣١. بيبيرس المنصوري : التحفة المملوكية فى الدولة التركية، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م
٣٢. الحموى،ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ،١٩٥٥م
٣٣. الذهبي: تاريخ دول الإسلام ،الهند ،حيدر آباد،١٢٩٦هـ .
٣٤. الصفدي،صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات ،دار إحياء التراث العربي ،٢٠٠٠م
٣٥. الطبراني،أحمد سليمان،المعجم الكبير،تحقيق حمدي السلفي،مكتبة العلوم والحكم،الموصل،
٣٦. العبادي ، احمد المختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ .
٣٧. العيني،بدر الدين أبو محمد محمود ،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،٢٠٠٣م
٣٨. القلقشندي أبو العباس،أحمد بن على، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية،القاهرة،١٩٦٣م .
٣٩. محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م
٤٠. المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك،دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٧٣م
٤١. النويري،أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب،القاهرة،١٩٢٣م
٤٢. اليافعي،أبو محمد عبد الله،مرآة الجنان وعبراليقظان في حوادث الزمان،الهند، حيدرآباد،١٣٣٨هـ
٤٣. اليونيني قطب الدين موسى بن محمد،ذيل مرآة الزمان ،الهند ،حيدر اباد الدكن،١٩٦٠م